القيم التعبيرية للأصوات في فواصل القرآن الكريم

بقلم
د/ عبد الكريم حاقة (*)

ملخص

يتناول هذا البحث القيم التعبيرية للأصوات التي تنتهي بها الفواصل القرآنية. والفاصلة القرآنية هي الكلمة الأخيرة من الآية. والأصوات تحمل جزءا من دلالة الكلمة، وتشارك في معناها. وسنحاول في هذه الدراسة أن نربط بين دلالة الأصوات التي تنتهي بها الفواصل وبين المعنى العام للآية. والقرآن الكريم يختار لكل معنى ما يلائمه من الأصوات، فعند الترهيب يختار الأصوات الشديدة القوية، وعند الترغيب يختار الأصوات الرقيقة السلسة، ليضع القارئ في الجو الملائم، وهذا من أسرار التأثير القرآني.

الكلمات المفتاحية: القرآن، اللغة، الأصوات، الفواصل، القيم.

مقدمة

تعد الدراسات القرآنية من أهم الدراسات التي حظيت باهتمام المسلمين منذ عهود خلت، وذلك لما للقرآن الكريم من مكانة وقداسة في نفوس المؤمنين به، وقد انصب اهتمام المسلمين القدامى على دراسة لغة القرآن الكريم من حيث نحوها وصرفها وبلاغتها، ولما ظهرت الدراسة اللغوية الحديثة من صوتيات ودلالة ونحوها، أخذ المعاصرون من الباحثين في دراسة لغة القرآن من هذه الجوانب الحديثة، قصد إبراز عظمة هذا الكتاب وتجلية مكامن الإعجاز فيه، وقد وقع اختياري على موضوع مهم يبرز جانبا من البناء القرآني المحكم الذي ينسجم فيه البناء الشكلي مع البناء الدلالي، فكان عنوان هذا المقال: القيم التعبيرية للأصوات في فواصل القرآن الكريم، حيث سنحاول الإجابة فيه عن سؤال هام هو: هل هناك علاقة بين دلالة الآية القرآنية والفاصلة التي ختمت بها ؟ وقد قمت في هذا المقال بتعريف الفاصلة القرآنية كمصطلح خاص بالقرآن الكريم،

(*) أستاذ محاضر "ب" بقسم الحضارة الإسلامية ـ معهد العلوم الإسلامية ـ جامعة الوادي.

وذكرت الفرق بين الفاصلة القرآنية وبين قافية الشعر وقرينة السجع، ثم تعرضت لضوابط الفواصل وأقسامها والتناسب بينها والوقف عليها، وبعد هذا تناولت بعض النماذج القرآنية حيث بينت مدى انسجام فواصلها مع معانيها.

1. الفاصلة القرآنية:

1.1. تعريف الفاصلة لغة واصطلاحا:

أولا: تعريف الفاصلة لغة:

مادة (فصل) تدور على معان منها: الفصل وهو البون أو الفرق بين الشيئين، وفصل: قطع، وفصل من البلد خرج منه، وفصله عن غيره أي نحاه، وفصّل الشيء جعله فصولا متمايزة، والتفصيل: التبيين والتمييز، والفاصلة هي الخرزة تفصل بين الخرزتين في العقد ونحوه [1].

ثانيا: تعريف الفاصلة اصطلاحا:

الفاصلة القرآنية هي كلمة آخر الآية، جاء في لسان العرب: وأواخر الآيات من كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر. جل كتاب الله عز وجل. واحدتها فاصلة [2].

والفاصلة مرادفة لرأس الآية، وهي بمثابة القافية التي هي آخر كلمة في البيت، ومقطع الفقرة المقرون بمثلها في السجع [3].

وكون الفاصلة هي آخر كلمة في الآية هو تعريف يكاد يكون مجمعا عليه، ولم يشذّ عن هذا، فيما اطلعت عليه، إلا أبو عمرو الداني (ت: 444ه)، الذي نقل عنه الزركشي (ت: 794ه) أنه قال: أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده. وهذا قد يكون رأس آية وغير رأس، وكذلك الفواصل يكنّ رؤوس آي وغيرها وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية [4]، وقد احتج الداني بقول سيبويه (ت: 180ه) وردّ عليه الجعبري (ت: 732ه) بأن مراد سيبويه الفواصل اللغوية لا الصناعية. وإلى كون الفاصلة هي رأس الآية ذهب الزركشي (ت: 794ه) في قوله:« وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام»[5]، ويفهم من هذا أنه يربط الفواصل بالوقف والوقف مرتبط عادة برؤوس الآي، ويعلّل لتسمية الفواصل بأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها [6].

2.1. سبب التسمية:

سمّى العلماء أواخر الآيات فواصل تمييزا للقرآن عن غيره من فنون الكلام، وهذه التسمية تجد مستندها من القرآن الكريم نفسه، فقد جاءت آيات كثيرة في الكتاب الكريم تحمل إشارة إلى هذه التسمية ومن ذلك:

- ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام: 98].
- ﴿ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ ﴾ [الأعراف: 133].
- ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ [فصلت: 3].

فهذه الآيات وغيرها من كتاب الله تحمل على معنيين [7]:

الأول: التفصيل بمعنى التبيين، ومفصلات بمعنى مبينات.

الثاني: تفصيل الآيات بالفواصل، بأن يكون بين كل آيتين فاصلة أي مهلة وعلى هذا تكون الفاصلة هي نهاية الآية. وقد أخذ العلماء هذه التسمية لتكون علما على أواخر الآيات تنزيها للقرآن عن مصطلحات الفنون الأخرى، نقل السيوطي (ت: 911هـ) عن الجاحظ (ت: 255هـ)، قال: «سمى الله كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كلامهم على الجمل والتفصيل: سمّى جملته قرآنا كما سموا ديوانا، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضه آية كالبيت، وآخرها فاصلة كالقافية » [8].

3.1. الفرق بين الفاصلة والقافية وقرينة السجع:

لاشك أن الشعر والنثر فنان مختلفان، فالأول موزون مقفّى، والثاني منه مرسل ومسجوع، ولا شك أيضا أن القرآن مختلف عنهما تماما، فهو كتاب فريد من نوعه لا يشبهه أي كلام آخر، ولذلك جاءت تسمياته مخالفة لتسميات غيره، فإذا كان آخر بيت الشعر يسمى قافية وآخر المقطع من السجع يسمى قرينة، فإن آخر الآية من القرآن يسمى فاصلة.

وقد بحث العلماء علاقة القرآن بغيره من فنون القول، وتناولوا وجود الشعر والسجع في القرآن، أما الشعر فلم يجرؤ أحد، ممن يعتد بقوله، على القول بوجوده في القرآن حتى وإن وجد فيه آيات على مثال الموزون[9]، وأما السجع فقد ثار حول وجوده في القرآن جدل كبير.

ولابد أن ننطلق في هذه المسألة من مسلمة؛ وهي أن القرآن كلام الله تعالى وهو صفة من صفاته، كما هو مقرر في عقيدة أهل السنة والجماعة، وكما أن الله تعالى لا يشبه شيئا من خلقه، قال تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]، فإن كلامه لا يشبه كلامهم. وقد نفى القرآن عن نفسه مشابهة غيره فقال الله عز وجل: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحاقة: 41، 42، 43] وهذا النص الكريم يقرر حقيقتين، إحداهما تنفي عن القرآن أن يكون قول شاعر أو كاهن، وهذه مؤداها نفي الشعر وقول الكهان الذي هو السجع عن القرآن الكريم، والأخرى تثبت أن القرآن متميز ومتفرد عن سائر الكلام فهو تنزيل من رب العالمين لم يتقوّله إنسان. وحتى وإن بدا شبه صوتي

ظاهري بين القرآن والشعر جعل العرب بادئ الأمر يتوهمون أنه شعر، ولكنهم سرعان ما عادوا على أنفسهم بالتخطئة، إذ تبين لهم فساد رأيهم، غير أن القرآن نفى بشكل قاطع في كثير من آياته أن يكون له صلة بالشعر، قال تعالى:﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآَنٌ مُبِينٌ ﴾ [يس:69]، وقال أيضا: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ [الطور:30]، وبهذا يكون نفي الشعر عنه محسوما ومجمعا عليه، « ومما يتميز به القرآن من الشعر، أي شعر، أن الحد الأدنى للشعر هو الكلام الموزون عروضيا، المقفى من حيث الشكل، وأن الشعر من وضع البشر، ثم هو خاضع لما يخضع له البشر من غلو في الانفعال والتصور. وليس في القرآن العزيز شيء من ذلك » [10] وإذا كان نفي الشعر عن القرآن محسوما فليس كذلك السجع، إذ ثار حوله خلاف قديم ولا يزال مستمرا بين من يبحثون في بلاغة القرآن وإعجازه، وانقسم العلماء بين مثبت ونافٍ، وممن نفى السجع عن القرآن؛ الباقلاني (ت: 403ه) [11]، وعموم الأشاعرة [12]، وابن خلدون (ت: 808ه) الذي يقول: «... والقرآن وإن كان من النثر إلا أنه خارج عن الوصفين ليس يسمى مرسلا مطلقا ولا مسجعا بل تفصيل آيات ينتهي بمقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها »[13]، ومن الذين قالوا بوجود السجع في القرآن؛ ابن الأثير (ت: 637ه) صاحب كتاب المثل السائر، وأبو هلال العسكري (ت: 395ه)، وابن سنان الخفاجي (ت: 466ه)، وقد قدم كلا الفريقين أدلته وحججه [14].

والذي يبدو لي أن الأمر لا يعدو أن يكون اصطلاحيا، فالذين أثبتوا السجع وجدوا في بعض السور ما يشبه السجع مثل سورة (الرحمن) وسورة (القمر) وغيرهما، والذين نفوا السجع عن القرآن أرادوا تنزيه كتاب الله أن ينسب إليه ما نسب إلى الطير وغيره أو أن يشابه أساليب الناس في كلامهم، يقول الدكتور المطعني: « والمسألة بعد. في رأيي الإنصاف. بين نفاة السجع ومجوزيه لا تعدو أن تكون خلافا لفظيا ما دام الاثنان متفقين على تنزيه القرآن عن التكلف والتوعر والتقليد»[15]، ويقول الحسناوي:« إن القول بسجع القرآن حيف ولا نقول السجع عيب، وإن القول بالفاصلة لا شريك لها رد للأمور إلى نصابها، ونظرة إلى ظاهرة قرآنية مطردة في القرآن كله، وفي ذلك ما فيه من تجنب الإيهام بمشابهة كلام البشر أو الكهان. كما فيه انسجام مع إشارات القرآن ﴿ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ ﴾ [16]، ﴿ آَيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ ﴾ [17] »[18]، وعلى هذا نقول: حتى وإن وجد في القرآن ما هو على شاكلة السجع، فالذي تستريح إليه النفس هو تسمية القرآن بتسمياته الخاصة، لأن القرآن متميز عن غيره في كل شيء، فلا يقال قافية القرآن ولا سجعة

القرآن وإنما يقال فاصلة، وبهذا تتمايز المصطلحات: فالقافية للشعر والسجعة أو القرينة للسجع ومصطلح الفاصلة خاص بالقرآن لا يشاركه غيره فيه، مصطلح أصيل يستمد تسميته من القرآن نفسه ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ [فصبت:3].

4.1. ضوابط الفواصل:

فواصل القرآن هي رؤوس الآي وآخر الكلمات فيها، ومعرفة الفاصلة هي معرفة نهاية الآية وبداية الآية الأخرى، وعلى معرفة الفواصل يعوّل في عدّ آيات القرآن ولمعرفة الفواصل طريقان: توقيفي وقياسي[19].

الطريق التوقيفي: وهو طريق السماع، وهو ما نقله الرواة عن رسول الله. صلى الله عليه وسلم. كما جاء في حديث أم سلمة الذي رواه أبو داود وغيره أنه عليه الصلاة والسلام كان يقطع قراءته آية آية، وقرأت: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ تقف عند كل آية. وظاهره أنه كان يقطع قراءته بالوقوف على رؤوس الآي في الفاتحة وغيرها، ليعلم الناس الآيات.

الطريق القياسي: إن ما وقف عليه. صلى الله عليه وسلم. دائما تحققنا أنه فاصلة، وما وصله دائما تحققنا أنه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريفها، أو لتعريف الوقف التام أو الاستراحة، والوصل أن يكون غير فاصلة، أو فاصلة تقدم تعريفها... فحصل التردد وحينئذ احتيج إلى القياس. قال الزركشي (ت: 794هـ) في تعريف القياسي: « وهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص، لمناسب، ولا محذور في ذلك؛ لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان وإنما غايته محلّ فصل ووصل »[20].

وقد حدد العلماء طرقا أربعة لمعرفة الفواصل وهي[21]:

أولا: مساواة الآية لما قبلها وما بعدها طولا وقصرا، وذلك معروف بالاستقراء والتتبع فالعلماء لما تتبعوا الآيات والفواصل في السور الطويلة والقصيرة وجدوا أن الآيات الطوال لم تجئ إلا في السور الطوال، والقصار لم تجئ إلا في أقصر السور، فاعتبروا ذلك أصلا في معرفة الفواصل، وهذا الحكم على التغليب، إذ قد يجيء الأمر على خلاف الأصل تبعا للتوقيف، فما ثبت بالتوقيف عد من الفواصل ولو كان على خلاف الأصل.

ثانيا: مشاكلة الفاصلة لما معها في السورة من الفواصل في الحرف الأخير إن لم يكن قبله حرف مد، أما إذا كان ما قبل الأخير حرف مد فقياسها يكون بما قبل الآخر، ولا يشترط في حرف المد

أن يكون واحدا بل قد يكون مرة واوا ومرة ياء وأخرى ألفا.

ثالثا: الاتفاق على عد نظرائها فإذا كان هناك اتفاق على عد فواصل في سور أخرى فهو دليل على أن هذه الكلمة في هذه الآية فاصلة ومثاله ﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [آل عمران:49]، فقد عده المذهب البصري[22] وذلك حملا على ما في الأعراف، الآية:105 والشعراء، الآية:17 والسجدة، الآية:23 والزخرف، الآية:59.

رابعا: انقطاع الكلام عندها، بأن تكون آخر السورة، أو تكون نهاية القصة، أو تكون آخر الموضوع بحيث ينتقل سياق الكلام إلى موضوع جديد.

5.1. **الوقف على الفاصلة:**

إن جمالية الفاصلة صوتيا لا تتحقق إلا بالوقوف عليها، فالوقف على الفواصل يعطيها ذلك الجرس الصوتي الآسر، الذي يأخذ بالألباب، ولهذا كان أصحاب النبي . صلى الله عليه وسلم . يتعلمون الوقف كما يتعلمون القرآن، روى ابن الجزري(ت: 833ه) عن ابن عمر قوله: « لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على النبي . صلى الله عليه وسلم . فيتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما ينبغي أن يوقف عليه منها»[23]، وقال الزركشي (ت: 794ه): « إن مبنى الفواصل على الوقف، ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور، وبالعكس »[24]، وهذا يعني أنه لولا الوقف لذهب جمال الفواصل، لأن بعضها ينتهي بالمرفوع، وبعضها ينتهي بالمجرور أو المنصوب، فإذا لم يوقف عليها بالسكون ذهب جمالها.

وقد تكلم العلماء عن الوقف على الفواصل وحكمه في مبحث الوقوف على رؤوس الآي، ورؤوس الآي هي الفواصل، وقد ذهبوا في ذلك أربعة مذاهب [25]:

المذهب الأول: ويرى أصحابه أن الوقف على الفواصل سنة مهما كان تعلقها بما بعدها من جهة اللفظ أو المعنى، ومعتمد هؤلاء على حديث أم سلمة المتقدم وفيه أنه كان . عليه الصلاة والسلام . يقطع قراءته آية آية، وهم يرون جواز الوقف على الفواصل ولو أدى إلى فساد المعنى، ورد الجعبري (ت: 732ه) على هؤلاء . كما ذكر الزركشي (ت: 794ه) . بأن فعله . صلى الله عليه وسلم . إنما كان لبيان رؤوس الآي[26].

المذهب الثاني: ويرى أصحابه جواز الوقف على الفواصل والابتداء بما بعدها إذا لم يكن في ذلك إخلال بالمعنى، فإن كان فيه إخلال بالمعنى جاز الوقوف عليها عملا بالسنة ولكن لا يبتدئ القارئ بما بعدها بل يتحتم عيه أن يعود فيصلها بما بعدها حفاظا على المعنى الصحيح.

المذهب الثالث: ويرى أصحابه أن المراد من حديث أم سلمة هو السكت بلا تنفس على رأس كل آية، وذلك لبيان رؤوس الآي.

المذهب الرابع: ويرى أصحابه أن حكم الوقوف على الفواصل كحكم الوقف على أي موضع آخر، وأن ذلك مرتبط بالمعنى والإعراب، فإن لم يكن بين الفاصلة وما بعدها تعلق لفظي أو معنوي جاز الوقف عليها وإلا فلا، « ولهذا وضع أصحاب هذا المذهب علامات الوقف فوق الفواصل، كما وضعوها فوق غيرها مما ليس برأس آية»[27].

ويبدو أن الرأي الصحيح هو جواز الوقوف على الفواصل لتحسين التلاوة وإعطائها جرسا صوتيا، إلا أن المعنى يجب أن يراعى، فلا يجوز التضحية بالمعنى من أجل الجمال الصوتي، لأن القرآن الكريم رسالة تتطلب التبليغ وهذا لا يتم مع غموض المعنى.

6.1. التناسب بين الفواصل:

إن الجمال الصوتي للفواصل لا يتحقق إلا إذا كان بينها تناسب، والتناسب بين الفواصل هو توافقها في الوزن، أو في الحرف الأخير، أو فيهما معا:

فمثال التوافق في الوزن:﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾ [الضحى:1، 2].

ومثال المتوافق في الحرف الأخير:﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: 13، 14].

ومثال المتوافق في الوزن والحرف الأخير:﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَاب مَوْضُوعَةٌ ﴾ [الغاشية: 13، 14].

وقد ذكر العلماء المناسبة بين الفواصل، فقال الزركشي (ت: 794ه): «واعلم أن إيقاع المناسبة في الفواصل حيث تطرد متأكد جدا، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما»[28]، وقال عبد الفتاح لاشين: «... وتناسب الأطراف وتماثل الحروف، مما يريح السامع ويجذب انتباهه»[29]، وقال ابن الصائغ (ت: 720ه): «اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية ترتكب لها أمور من مخالفة الأصول »[30]، فمراعاة المناسبة بين الفواصل يتطلب أحيانا الخروج عن الاستعمال اللغوي مثل تقديم ما حقه التأخير، أو تقديم المفضول على الفاضل، أو زيادة حرف كألف الإطلاق وهاء السكت، وغير ذلك. وقد ذكر ابن الصائغ نحوا من أربعين وجها من الخروج عن الأصل لأجل الفاصلة وتحقيق التناسب، ولابد أن نشير هنا إلى أن ذلك لا يكون على حساب المعنى، بل إننا نجد الجمال الصوتي إلى جانب الجمال المعنوي، فلا يُضحّى أبدا بالمعنى من أجل

الجمال الصوتي، لأن القرآن الكريم مع جمال نسقه وبنائه فإنه ليس كتابا أدبيا محضا بالمعنى المعروف لهذه الكلمة، بل هو رسالة تتطلب الإبلاغ وشريعة تتطلب العمل.

ومما ذكره ابن الصائغ من أوجه الخروج عن الأصل ما يأتي:

ـ زيادة حرف مثل ألف الإطلاق وهاء السكت، فألف الإطلاق في قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب:10]، وقوله: ﴿ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴾ [الأحزاب: 66]. وهاء السكت في قوله:﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: 19، 20]، وقوله: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾ [القارعة: 10].

ـ حذف حرف مثل حذف الياء في قوله:﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ [الفجر:4] وهي ياء أصلية حذفت لأجل الفاصلة، وحذف ياء المتكلم في قوله: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: 78، 79، 80].

ـ تقديم ما أصله التأخير مثل:﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ [طه: 67]، فالأصل: فأوجس موسى في نفسه خيفة.

ـ تقديم المفضول وتأخير الفاضل، مثل: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه:70] (31).

7.1. أقسام الفواصل:

للفواصل تقسيمات عدة، كل تقسيم باعتبار معين، فهناك تقسيم باعتبار الحرف الأخير، وتقسيم باعتبار الوزن، وتقسيم باعتبار علاقة الفاصلة بما قبلها في الآية:

1.7.1. تقسيم الفواصل باعتبار الحرف الأخير: وتنقسم الفواصل بهذا الاعتبار إلى:

الفواصل المتماثلة: وهي التي تماثلت حروفها الأخيرة كقوله تعالى:﴿ وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ* وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور:1 ـ 4]. وقد تتفق الفاصلتان في حرف أو أكثر قبل الحرف الأخير وهو ما يسمى « الالتزام »:

ـ مثال التزام حرف: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح:1 ـ 4].

ـ مثال التزام حرفين: ﴿ وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴾ [الطور:1، 2].

ـ مثال التزام ثلاثة حروف: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: 201، 202].

الفواصل المتقاربة: وهي التي تقاربت حروفها الأخيرة كتقارب الميم والنون في قوله تعالى:﴿

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: 2، 3] أو كتقارب الدال والباء في قوله تعالى:﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق:1، 2][32].

2.7.1. تقسيم الفواصل باعتبار الوزن: تنقسم الفواصل باعتبار وجود الوزن أو عدمه، أو اجتماعه مع عنصر آخر أو انفراده إلى خمسة أقسام هي:

المطرَف: وهو ما اختلف في الوزن و اتفق في الحرف الأخير مثل:﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح:13، 14].

المتوازي: وهو ما اتفق في الوزن والحرف الأخير معا مثل:﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ [الغاشية:13، 14].

المتوازن: وهو ما اتفق في الوزن دون الحرف الأخير مثل:﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾ [الليل:1، 2].

المرصّع: وهو أن تتفق الفاصلتان في الوزن والحرف الأخير ويكون بينهما مقابلة مثل:﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ [الانفطار:13، 14].

المتماثل: وهو أن تتفق الفاصلتان في الوزن دون الحرف الأخير ويكون بينهما مقابلة مثل: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الصافات:117، 118] [33].

3.7.1. تقسيم الفواصل باعتبار العلاقة بما قبلها: وقد سماه القدماء ائتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام، وأقسامه هي:

التمكين: وهو أن يمهد للفاصلة بما يجعلها تأتي متمكنة غير نافرة، يتعلق معناها بما قبلها تعلقا تاما، بحيث لو طرحت اختل المعنى، مثل:﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب: 25]، فقد جاء آخر الآية تمكينا للمعنى قبلها لئلا يظن السامع أن سبب هزيمة الأعداء هو الريح، وهي إنما هبت بأمر الله تعالى.

التصدير: وهو أن تتقدم لفظة الفاصلة بعينها في الآية، وهو ثلاثة أقسام:

ـ أن يوافق آخر الآية آخر كلمة في الصدر نحو:﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: 166].

ـ أن يوافق آخر الآية أول كلمة في الصدر نحو: ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: 8].

ـ أن يوافق آخر الآية كلمة في الحشو نحو:﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ

سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الأنعام: 10].

التوشيح: وهو أن يرد في الآية ما يشير إلى الفاصلة حتى تعرف منه قبل قراءتها نحو: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ [يس: 37]. فإن صدر الآية يوحي بفاصلتها، فإن من انسلخ النهار عن ليله أظلم.

الإيغال: وهو أن ترد الآية بمعنى تام وتأتي الفاصلة بزيادة في ذلك المعنى ومنه:

﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ [النمل: 80] فقد تم المعنى بقوله: ﴿ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ ﴾ فزاد معنى فقال: ﴿ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾[34].

2. القيم التعبيرية للفواصل القرآنية:

الفواصل القرآنية ظاهرة صوتية تميّز بها القرآن الكريم، غير أنها لا تخلو من القيم التعبيرية، ونعني بالقيم التعبيرية ما تحمله الفواصل من دلالات، فالفاصلة القرآنية تأتي دائما منسجمة من حيث المعنى مع دلالات الآية، فحين تعبر الآية عن ترغيب وتشويق في أمر ما، فالفاصلة تختار من الأصوات الرقيقة المهموسة التي تتميّز بالسلاسة، أما إذا كانت الآية معبرة عن تخويف وتهديد، فإن الفاصلة تأتي بأصوات قوية شديدة، وذلك من أجل موافقة المعنى في الآية، وسوف نختار بعض الآيات القرآنية ونتتبع الأصوات التي تنتهي بها الفواصل، ثم نلاحظ كيف ترتبط دلالات هذه الأصوات بالمدلول العام للآية، وما تحمله الفواصل من قيم تعبيرية.

1 . هذا الأنموذج الأول من سورة النبأ، يتناول الحديث عن دلائل القدرة الإلهية، وأن هذا الصانع العظيم الذي ابتدأ فخلق هذه المخلوقات العظيمة من العدم، لا يعجزه أن يعيدها بعد فنائها: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا *وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا *وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا * وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾ [النبأ: 6. 16]، وقد ذكر لهم من مظاهر قدرته أمورا يشاهدونها لا تخفى عليهم و منها: انبساط الأرض وتمهيدها لتصلح لسير الناس والأنعام، وسموق الجبال صاعدة في الجوّ، وتنوع الآدميين إلى ذكور وإناث، وجعل النوم راحة للإنسان من عناء الأعمال التي يزاولها عامة نهاره، وجعل الليل ساترا للخلق، وجعل النهار وقتا لشؤون الحياة والمعاش، وارتفاع السموات فوقنا مع إحكام الوضع ودقة الصنع، ووجود الشمس المنيرة المتوهّجة، ونزول المطر وما ينشأ عنه من النبات [35].

وقد انتهت الفواصل بما يتوافق مع موضوع الآيات، فقد اختير صوت الدال والجيم، للتعبير عن

القوة، عند الحديث عن المخلوقات العظيمة كالأرض والجبال وغيرها، وهذان الصوتان كلاهما مجهور قوي، أما عند الحديث عن النوم وهو وقت الراحة للإنسان وفيه يسترجع قواه فقد اختير له صوت التاء وهو صوت مهموس مرقق مستفل ضعيف، والإنسان أضعف ما يكون في حال النوم، بل هو أثناء نومه أقرب إلى الموت منه إلى الحياة، وأما الليل فهو وقت السكون، حيث تختفي أصوات الكائنات، ولهذا اختير له صوت السين وهو صوت مهموس ضعيف مرقق، ليعبر عن هذه الحال الساكنة الهادئة في جنح الليل، أما النهار فهو الوقت الذي تنتشر فيه الكائنات تطلب أقواتها، فناسب صوت الشين الذي من صفاته التفشي لأن الهواء ينتشر في الفم عند نطقه، وهذا الانتشار في الصوت يقابله انتشار الناس في طلب الرزق، وعند الحديث عن النباتات المختلفة جيء بالتاء والفاء وهما صوتان ضعيفان مهموسان مرققان، لأن النبات والجنات نعمة، والنعمة من طبيعتها الليونة والنعومة والرقة، وهذه الأشياء يناسبها صوت لطيف فاختيار التاء والفاء أنسب لهذا المقام.

2 . وهذا الأنموذج الثاني من سورة النازعات، وهي تبتدئ بالقسم ببعض المخلوقات العظيمة، وجواب القسم تدل عليه الآيات الآتية، وتقديره لتبعثن ولتحاسبن: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ * يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ * أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ [النازعات: 6 . 14]، وقد اختار القرآن صوتا واحدا هو صوت التاء المربوطة، وهو ينقلب هاء عند الوقف عليه، والهاء صوت هوائي حنجري رخو مهموس مرقق خفي، وهو يتناسب مع الحديث عن يوم القيامة الذي أخفاه الله عز وجل عن الخلق، كما تتحدث الآيات عن أحد أركان الإيمان، والإيمان محله القلب، فناسب أن يختار له صوتا عميقا، كما أن انتهاء الفواصل بالهاء وهو صوت خفيف، يسهل في التلاوة فلا يثقل على اللسان، وذلك يشعر بسرعة انقضاء الأمر، وكأن الساعة حانت، فرجفت الراجفة، وتبعتها الرادفة، وهاهم الخلق بارزون، على الأرض التي كانوا يسهرون عليها، وكأن الأمر قضي وفرغ منه.

3 . وأما الأنموذج الثالث فمن سورة (عبس)، ومطلعها في عتاب النبي الكريم . صلى الله عليه وسلم . « وقد عاتب الله نبيه بأن ضعف ذلك الأعمى وفقره لا ينبغي أن يكون باعثا على كراهة كلامه والإعراض عنه، لأن ذلك يورث انكسار قلوب الفقراء، وهو مطالب بتأليف قلوبهم... وكان رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يكرم ابن أم مكتوم ويقبل عليه ويتفقده، ويقول إذا رآه: أهلا بمن عاتبني فيه ربي »[36]. يقول تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ

فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾ [عبس: 1 ـ 10]، فواصل الآيات منتهية بصوامت ممدودة بصائت طويل وهو الألف، وقد تنوعت هذه الصوامت، ولكنها في أغلبها من الأصوات المتوسطة، كاللام والميم والراء والعين والنون، وهذه الأصوات تتناسب مع العتاب، لأن العتاب فيه لوم، ولكنه لوم من حبيب لحبيبه، فلم يقتض الأمر قوة في الأصوات، لأن في قوة الأصوات قسوة لا تكون بين حبيب وحبيبه، ومع ذلك لم تكن أصواتا ضعيفة، لأن مقام العتاب فيه تأديب وتربية فاقتضى بعض الشدة، « وهذا أقصى عتاب وجّهه الله لرسوله عليه السلام. وبين له فيه كثيرا من الحقائق، وفي هذا العتاب. مع قسوته ـ اشتمل القرآن على كثير مما يخففه. ويبين حسن نية الرسول فيما بدر منه » [37] وقد جاءت الفاصلة في (تصدى) بالدال القوية المشددة، للدلالة على مدى حرص النبي على دعوة هؤلاء النفر الصادين عن الحق، كما عبرت الهاء في (تلهى) عن فتور تجاه الضعيف، ولا يتهم النبي الرحيم بإهمال هذا الرجل الضعيف، ولكنه كان حريصا على إسلام من هم أكثر تأثيرا منه في قومهم، وأما الفاصلة التي تنتهي بالشين وهو صوت رقيق ضعيف متفش، ففيها دلالة على رقة قلب هذا الأعمى وليونته للحق، كما تدل على تفشي الإيمان في قلبه، أما الكاف في (يزكّى) وهو مهموس مرقق، فهو يدل على أن العبرة بالبواطن لا بالظواهر، فهذا الضعيف قد صفت سريرته، وزكى قلبه، فليس كذلك الغليظ الجلف الذي تعزز على الحق بجاهه أو ماله.

4. وفي سورة التكوير، يقول الله عز وجل: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ﴾ [التكوير: 1 ـ 14]، فالسورة تبتدئ بمشاهد القيامة تتراءى مسرعة، مؤذنة بأفول هذه الدنيا، فتبدل الأرض غير الأرض والسموات، وتتغير المعالم المعهودة في كليهما، وتنتهي الفواصل جميعا بصوت واحد هو صوت التاء، وهو صوت مهموس مرقق ضعيف، ومع همسه وضعفه فقد جيء به ساكنا، وهذا السكون يشير إلى السكون الذي يخيم على الكون، بعد انقضاء أجل الدنيا وفنائها، سكون مطبق، فلا حياة على وجه الأرض وقد كانت زاخرة بأهلها، كما يشير الهمس مع السكون إلى حالة الوجوم والخوف التي تغشى الناس عند الحشر، فتخشع الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا، أما الضعف في التاء فيحمل دلالة الضعف في تلك المخلوقات جميعا، والتي تبدو في الدنيا قوية، ولكنها أضعف

ما تكون إذا حان الأجل المقدر، وأذن بفنائها، فتتبدل حالها القوية إلى ضعف كبير، وتستوي مقاطع الآيات مما يسرع في وتيرة الإيقاع، وهذا يدل أيضا على سرعة انقضاء الدنيا.

5 . وفي السورة نفسها، وبعد الحديث عن يوم القيامة التي يصير إليه الناس، يأتي الحديث عن حقيقة الوحي والرسالة، ويبدأها الله بالقسم: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: 15.29]، يقسم الله على حقيقة الوحي والرسالة بمظاهر كونية، تتراءى للناس، إنها النجوم التي تختفي بالنهار لتظهر بالليل من جديد، و الليل إذا أقبل بظلامه وتمدد في الآفاق، والصبح إذا انفلت من مخبأ الليل المظلم، وقد اختار القرآن للتعبير عن هذه المظاهر، فواصل تنتهي بالسين وهو صوت رخو مهموس مرقق، وأما مناسبته للموضوع، فإن الليل وقت السكون والهجعة والهدوء، كما أن الحياة تسكن فيه، وتختفي الأصوات والضجيج، وتتحول الحياة إلى همس خفي، وذلك يتناسب مع صوت مهموس رقيق، كما أن خفاء النجوم بالنهار، وظهورها هادئة بالليل، يناسبه أيضا صوت مرقق مهموس، وانفلات الصبح من عتمة الليل، في هدوء ورفق، يتلاءم مع صوت مهموس، فكأن الليل يخنق الدنيا بظلامه، فلا يسرّى عنها إلا بتنفس الصبح، فتسري الحياة مع سريان النفس في السين، فتجد الدنيا استراحة مع الصبح وانبعاثا جديدا، فقد كانت في كبت الليل كأنها ميتة. ثم يأتي الحديث عن الرسالة، بالحديث عن الرسول الملك والرسول البشر، فتأتي الآيات لتثبت حقيقة الوحي المنقول بواسطة جبريل إلى محمد رسول الله، ثم تنفي صفات تخرّصها المكذبون، نعتوا بها صاحب الرسالة، فما هو بمجنون، ولا كاذب، ولا ببخيل بما يوحى إليه فيخفيه، وقرئ (بظنين) بالظاء المشالة، أي وما هو بمتهم أي لا يزيد ولا ينقص ولا يحرف [38]، ولا قوله هذا من وحي الشيطان الرجيم، ثم تثبت الآيات عالمية الرسالة فهي ذكر للعالمين، ولن تستطيع قريش بكيدها أن تحاصر الإسلام، ولكن سيسعد منها من استقام على نهج الدين. أما الفواصل فتنتهي بالميم والنون، وهما صوت مجهوران أغنان، ولهما دوي تشترك في صنعه حجرات الرنين عند الحنجرة والتجويف الأنفي وفراغ الفم في النون وإطباق الشفتين على الميم، كما أن كلا الصوتين له وضوح في السمع يقترب من وضوح الصوائت، كما أنهما مدعومان بصائت طويل، ولهذه الصفات دلالات عدة، فهذه الآيات تنزلت في وقت كان الإسلام فيه ضعيفا محاصرا، والمشركون يعملون على خنق صوت الدعوة

وصوت الداعي، فتأتي هذه الآيات معلنة أن الغلبة والنصر لهذا الدين، ولهذا فدلالة الجهر والوضوح والدوى في هذه الأصوات، تتناسب مع هذا الإعلان المدوي، الذي يرفعه الإسلام في وجه الخصوم، معلنا أن هذا الدين سيبلغ آفاقا، ما كان يدور في خلد أحد منهم أنه سيبلغها، والقرآن منذ الوهلة الأولى، يعلن هذا التوجه العالمي في وضوح، ومن غير مواربة، وهذا ما تدل عليه الأصوات بوضوحها واتصالها بالصوائت.

6 ـ وفي سورة الانفطار وبعد الحديث عن الحوادث التي تصاحب قيام الساعة، وقد اختتمها بوقوف الإنسان على أعماله، حيث يجد ما قدم من خير محضرا، ويندم على تفريطه في الصالحات، يوجه الخطاب إلى الإنسان: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: 6 ـ 8]، وتتحدث الآية الأولى عن غرور الإنسان واسترساله في المعاصي، وسعة حلم الله الكريم الذي لم يعاجله بالعقوبة، وقد أتى بالميم، وهو صوت أغن محبب إلى الأذن، كما أنه مرقق مستفل، ليكون فيه إثارة لشفقة الإنسان على نفسه، وإحساسه بمصيره، فلا ينخدع بوعود الوسواس، الذي يغريه بالمعاصي اتكالا على عفو الله الكريم، قال مقاتل: غره عفو الله حين لم يعاقبه في أول أمره [39]، وفي الآيتين الأخريين ختم الفواصل بالكاف، وهو صوت شديد مهموس، وتدل الشدة على إحكام خلق الإنسان، فهو صنع الله الذي أتقن كل شيء، وأما الهمس، فهو يشبه صوت الناصح الذي يهمس في أذن هذا المغرور الذي غرته نفسه، أو الشيطان، أو القوة أو المال، أو جمال الخلقة: أن تنبه من غفلتك ولا يغرنك إمهال الله لك، فإنه إذا أخذك لم يفلتك.

7 ـ أما في سورة الانشقاق وبعد الحديث عن بعض مظاهر الانقلاب الكوني وبيان مصير الانسان في الآخرة يأتي «عرض لمشاهد كونية حاضرة، مما يقع تحت حس « الإنسان » لها إيحاؤها ولها دلالتها على التدبير والتقدير، مع التلويح بالقسم بها على أن الناس متقلبون في أحوال مقدرة مدبرة، لا مفر لهم من ركوبهم ومعاناتها »[40]، يقول تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ *وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾ [الانشقاق: 16.19]، الشفق: هو الحمرة التي تشاهد في الأفق الغربي بعد الغروب، وأصله رقة الشيء، يقال ثوب شفق: أي لا يتماسك لرقته، ومنه أشفق عليه: أي رق له قلبه[41]، و(وسق): جمع، و(اتسق): استوى، و(طبقا عن طبق): حال عن حال[42]. وجاءت الفواصل في الآيات منتهية بالقاف وهو صوت شديد مقلقل، وقد جيء به في معرض القسم بمظاهر كونية على تقلب الإنسان في أحوال شتى، وانتقاله من حال إلى

حال، وهذه المظاهر نفسها متقلبة، فالشفق وهو الخط الذي يلتقي فيه النهار مودعا بالليل مقبلا، وهي حالة تقلب دائب في الكون؛ ليل يعقبه نهار، ونهار يخلفه ليل، وبذلك تستمر الحياة، والليل حين يجمع الكائنات في مخابئها لا يلبث النهار حتى يفرقها، والبدر إذا اتسق وامتلأ نورا عند تمامه لا يلبث أن يبدأ في النقصان بعد ذلك، وهذا التقلب في هذه المظاهر المقسم به على تقلب الإنسان من حال إلى حال، نجد دلالته في كون القاف صوتا مقلقلا، وتعني القلقلة: الحركة وعدم الاستقرار، و هي عند علماء التجويد: اضطراب الصوت عند النطق بالحرف حتى يسمع له نبرة قوية (43)، واضطراب القاف وتقلقله فيه دلالة التقلب في هذه الكائنات ومنها الإنسان، وهذا يعني عدم الثبات على حال، حتى يصير إلى الحال الأخير في الآخرة.

تلك بعض النماذج التي اخترناها لبيان علاقة أصوات الفواصل القرآنية بمدلولاتها ومعانيها، وإن كان المقال قد اقتصر على هذه النماذج فليس هذا من قبيل الحصر، إذ إن الفواصل القرآنية في جميع سور القرآن تحمل شحنات دلالية مرتبطة أشد الارتباط بمدلول الآية، مما يحقق الانسجام بين الأصوات والمعنى، وأنه لا يوجد في القرآن صوت إلا وقد وضع الموضع الذي لا يصلح فيه غيره وهذا من الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم كيف لا وهو « تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ » [فصلت: 42].

خاتمة

إن القرآن الكريم كتاب محكم؛ فليس فيه جملة، ولا كلمة، ولا حرف إلا وقد وضع في موضعه المناسب، بحيث لو غير من مكانه، أو أبدل بغيره لأحدث ذلك خللا في النسق والبناء. وفواصل القرآن الكريم، قد جاءت وفق بناء محكم، بحيث تتلاءم مع المعنى الذي تريد الآية تبليغه، وبعد تطرقنا لموضوع القيم التعبيرية لأصوات الفواصل القرآنية فإننا خلصنا إلى هذه النتائج:

1. إن القرآن الكريم مؤثر من جميع النواحي؛ فهو مؤثر بألفاظه المختارة، وأسلوبه العجيب، وتراكيبه المحكمة، وبلاغته الفذة، وجرسه الصوتي الآسر، وهذا لا يجتمع في أي كتاب آخر.

2. تختلف الفاصلة القرآنية عن قافية الشعر وقرينة السجع، وإن كان قد يوجد شبه ظاهري بين الفاصلة القرآنية وقافية الشعر وقرينة السجع، فإن علينا أن نحتفظ للقرآن بمصطلحاته ومسمياته الخاصة، تنزيها له وتعظيما لشأنه، وإفرادا له بمصطلحات لا يشاركه فيها غيره.

3. لا يتحقق الجمال الصوتي للفواصل إلا حال الوقوف عليها بالسكون، حيث تستوي نهايتها على وقع متناسق، وبذلك يتحقق جمالها الصوتي.

4. إن أصوات القرآن الكريم التي تركبت منها كلماته قد اختيرت بعناية، لتتوافق مع الجو الذي أريد للآية أن تضع فيه المتلقي، ولا يعني هذا أن القرآن يضحي بالمعنى من أجل الجمال

الصوتي، ولكنه يجمع بين الجمال المعنوي والجمال الصوتي لتحقيق التأثير والإبلاغ.

5 . يختار القرآن الكريم لكل أسلوب ما يناسبه من الأصوات؛ فعند التهديد والوعيد والتخويف من النار وتهويل شأن القيامة يختار أصواتا قوية تقرع الأسماع، وعند التبشير والترغيب والتأنيس يختار أصواتا رقيقة لا تقرع الأسماع وإنما تتسلل إلى النفوس في رفق وهدوء.

6 . إن الأصوات تحمل جزءا من معنى الكلمة ودلالتها، وذلك بما لها من خصائص وصفات ومميزات، حيث تضفي الأصوات بدلالاتها على الكلمة جوا خاصا، وتلقي بظلالها على المعنى.

ـ الهوامش:

[1] – ينظر: الأزهري، أبو منصور محمد. تهذيب اللغة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (دط)، مصر، 1966م، ج:12، ص: 192 وما بعدها وابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (دط)، مصر، (دت)، ج:14، ص: 35 وما بعدها وأنيس، إبراهيم وآخرون. المعجم الوسيط، دار المعارف، ط:2، مصر، 1392هـ/1972م، ج:2، ص: 691.

[2] – ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب، ج: 14، ص: 39.

[3] – القاضي، عبد الفتاح عبد الغني. بشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل، دار السلام، ط:1، مصر، 1429هـ/2008م، ص:84.

[4] – الزركشي، بدر الدين. البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط:1، مصر، 1376هـ/1957م، ج:1، ص:53، 54.

[5] –المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[6] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[7] – ينظر: الأزهري، أبو منصور محمد. تهذيب اللغة، ج:12، ص:194.

[8] – السيوطي، عبد الرحمن. الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، (دط)، لبنان، 1408هـ /1988م، ج:1، ص:143.

[9] – ينظر: المطعني، عبد العظيم. خصائص التعبير القرآني، ج:1، ص:299 وما بعدها وأنيس، إبراهيم. موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط:7، مصر، 1997م، ص:329 وما بعدها.

[10] – الحسناوي، محمد. الفاصلة في القرآن، دار عمار، ط:2، الأردن، 1421هـ/2000م، ص:130.

[11] – ينظر: أنيس، إبراهيم. موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط:7، مصر، 1997م، ص:324.

[12] – ينظر: المطعني، عبد العظيم. خصائص التعبير القرآني، ج:1، ص:220.

[13] – ابن خلدون، عبد الرحمن. مقدمة ابن خلدون، دار الفكر،(دط)، لبنان، 1427–1428 هـ /2008م، ص:619.

[14] – ينظر: سلطان، منير. البديع تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، (دط)، مصر، 1986م، ص:27 وما بعدها والحسناوي، محمد.الفاصلة في القرآن، ص:105 وما بعدها والمطعني، عبد العظيم. المرجع نفسه، ص:219 وما بعدها.

[15] – المرجع الأخير نفسه، ص:224.

[16] – الأعراف:52.

[17] – الأعراف133.

[18] – الحسناوي، محمد. المرجع نفسه، ص:125.

[19] – ينظر: ابن عقيلة، محمد بن أحمد المكي. الزيادة والإحسان في علوم القرآن، جامعة الشارقة، ط:1، الإمارات العربية المتحدة، 1427هـ/2006م، ج:3، ص:489 وروستوفدوني، موسى جار الله. شرح ناظمة الزهر في عد الآيات وتعيين فواصل القرآن، تح: عمر سالم أبي حسن المراطي النيجيري، دار الصحابة بطنطا، (دط)، مصر، (دت)، ص:5.

[20] – الزركشي، بدر الدين. البرهان في علوم القرآن، ج:1، ص:98.

[21]– ينظر: القاضي، عبد الفتاح. بشير اليسر شرح ناظمة الزهر، ص:85 وما بعدها.

[22]– المذهب البصري في عد الآيات، وهو ما رواه عطاء بن يسار وعاصم الجحدري، وهو ينسب بعد إلى أيوب ابن المتوكل ويعقوب بن إسحاق الحضرمي وعدد الآيات عندهم :6204، ينظر: روستوفدوني، موسى جار الله. شرح ناظمة الزهر، ص:10.

[23]– ابن الجزري، محمد بن محمد. النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة، (دط)، مصر، (دت)، ج:1، ص:225.

[24]– الزركشي، بدر الدين. البرهان في علوم القرآن، ج:1، ص:69.

[25] – ينظر: الحصري، محمود خليل. معالم الاهتداء إلى معرفة الوقوف والابتداء، مكتبة السنة، ط:1، مصر، 1423هـ/2002م، ص:49 وما بعدها وصالح، عبد الكريم إبراهيم عوض. الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم، دار السلام، ط:1، مصر، 1427هـ/2006م، ص:35 وما بعدها.

[26] – ينظر: الزركشي، بدر الدين. المرجع نفسه، ص:98.

[27] – عبد الكريم إبراهيم عوض. الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم، دار السلام، ط:1، مصر، 1427هـ/2006م، ص:37.

[28]– الزركشي، بدر الدين. البرهان في علوم القرآن، ج:1، ص:60.

[29] – لاشين، عبد الفتاح. الفاصلة القرآنية، دار المريخ، (دط)، السعودية، 1402هـ/1982م، ص:22.

[30] – ينظر: ابن عقيلة، المكي. الزيادة والإحسان، ج:3، ص: 506 والسيوطي، عبد الرحمن. الإتقان في علوم القرآن، ج:3، ص:296.

[31] – ينظر: السيوطي، عبد الرحمن. الإتقان في علوم القرآن، ج:3، ص: 296 وما بعدها وابن عقيلة، المكي. الزيادة والإحسان، ج:3، ص:506 وما بعدها.

[32]– ينظر: الزركشي، بدر الدين. البرهان، ج: 1، ص:72 وما بعدها والسيوطي، عبد الرحمن. الإتقان،ج:3، ص: 314 وابن عقيلة، المكي. الزيادة والإحسان، ج:3، ص:529 والحسناوي، محمد. الفاصلة في القرآن، ص:145 وما بعدها وزاد الفاصلة المنفردة وهي التي لا يتماثل حرفها الأخير ولا يتقارب مع ما قبلها ولا ما بعدها ومثالها الفاصلة الأخيرة من سورة الضحى.

[33] – ينظر: لاشين، عبد الفتاح. الفاصلة القرآنية، ص:19 والزركشي. البرهان، ج:1، ص:75، 76 والسيوطي. الإتقان، ج:3، ص:311 وابن عقيلة. الزيادة والإحسان، ج:3،ص:524، 525 والحسناوي. الفاصلة في القرآن، ص:149، 150.

[34] – ينظر: الزركشي.البرهان، ج:1، ص:79 وما بعدها والسيوطي. الإتقان، ج:3 ص: 302 وما بعدها وابن عقيلة. الزيادة والإحسان، ج:3، ص:513 وما بعدها ولاشين. الفاصلة القرآنية، ص:39 وما بعدها والحسناوي. الفاصلة في القرآن، ص:286 وما بعدها.

35 – ينظر: المراغي، أحمد مصطفى. تفسير المراغي، دار الفكر، ط: 3، لبنان، 1394هـ/1974م، م: 10، ج:30،

ص: 6.

36 -المرجع نفسه: م: 10، ج: 30، ص: 39، 40.

37 – المطعني، عبد العظيم محمد. خصائص التعبير القرآني، ج: 1، ص: 274.

38 – ينظر: قمحاوي، محمد الصادق. طلائع البشر في توجيه القراءات العشر، عالم الكتب، ط: 1، لبنان، 1424هـ/2003م، ص: 189.

39 – ينظر: البغوي، الحسين بن مسعود. تفسير البغوي، تح: خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، دار المعرفة، ط:5، لبنان، 1423هـ/2002م، ج: 4، ص: 455.

40 – قطب، سيد. في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، ط:5، لبنان، 1286هـ/1967م، م: 8، ج: 30، ص: 99.

41 – ينظر: المراغي، أحمد مصطفى. تفسير المراغي، م: 10، ج: 30، ص: 93.

42 – النيسابوري، محمود بن أبي الحسن. إيجاز البيان عن معاني القرآن، تح: حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، ط: 1، لبنان، 1995م، م: 2، ص: 871.

43 – ينظر: نصر، عطية قابل.غاية المريد في علم التجويد، دار ابن الجوزي، (دط)، (دت)، ص: 135.

The expressive values of the voices in the Koran breaks

Dr. Abdelkarim HAGUA

Abstract

This research addresses the question of The expressive values of the voices which expires the Koranic commas. Koranic comma is the last word of the verse. The voices have part of the significance of the word, and it participates in its meaning. In this study, we address the issue of the link between significance of voices which commas expire and the general meaning of the verse.

Keywords: Koran, language, voices, commas, values.

* Maître de conférence B - institut des sciences islamiques - Université d'El-oued – Algérie.